الازبكية

ماضيها وحاضرها

بقلم الاستاذ حسن عبد الوهاب لجنة حفظ الآثار العربية

كانت العتبة الخضراء وقت أن كان قائما بها مسجد أزبك ومثال المقفور له ابراهيم باشا قبل نقله الى مكانه الحالى بميدان الأوبرا عامرة بالبساتين ، والمتنزهات التى أنشأها الفاطميون والتى كانت حينذاك تسمى « مناظر الوق »

وقد حفر بعض الملوك بها خليجا وأجرى اليه الماء من فم (الخور) وصار هـذا الخليج يعرف بخليج الذكر الذى يعتبر من جملة متنزهات القاهرة وبنى على هذا الخليج قنطرة وفوقها (دكة) للمتفرجين يجلسون عليها . والى هذه القنطرة ينسب الشارع المعروف اليوم باسم «قنطرة الدكة» ومن موقع القنطرة تعرف احدى نقط اتجاه خليج (الذكر)

بقيت هذه البقعة عامرة الى سنة ٦٥٥ هجرية ثم تلاشى أمرها وضعف جريان الماء فى خليجها الى أن حفر الملك الناصر بن قلاوون خليجه المسمى بالخليج الناصرى سنة ٧٢٤ هجرية فطمر خليج الذكر وخربت مناظر الوق وبقيت هذه الجهة غير عامرة ، وحدث بعد ذلك أن عمر أحد الافراد حماما كان هناك وأجرى اليه الماء من الخليج الناصرى الى أرض الازبكية ودامت الحال على ذلك الى سنة ٨٨٠ هجرية ولما كان الاتابك «أزبك» يسكن قريبا من هذه البقعة تراءى له أن يعمر فيها مناخا لابله . فلما أنه استحسن أن ينشىء أبنية له فيها فأنشأ القاعات الجليلة ثم دارا ومقعدا وغير ذلك . وأزال الكيمان التى كانت هناك ثم حفر البركة التى نسبت اليه والتى نسب اليها الشارع المعروف الآن بشارع (وجه البركة) وجعل حولها رصيفا وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى وجدد عمارة قنطرة خليج (الذكر) وبذلك أعاد لهذه الجهة مجدها بعد أن عرفت بخرائب عشر لوجود مزار بها بهذا الاسم

كذلك أنشأ الاتابك (أزبك) المذكور فى الجهة القبلية من البركة جامعاً كبيراً وأنشأ به مكتبة وأنشأ حوله حماما ووكالة وقياسر .

كان هذا الجامع على يمين الداخل الى شارع الموسكى [1] تجاه دار الحكمة المختلطة الآن وكان بابه العمومي مغشى بالنحاس الجميل أما منارته فليست هى المنارة الأصلية بل تجددت على الطراز التركي ولم نعثر على تاريخ إنشاء المسجد بالضبط غير أننا نرجح أنه بنى حوالى سنة ٨٨٢ هجرية وهى السنة التى فرغ فيها أزبك من بناء القصور واحتفل بافتتاحها ودعا السلطان قايتباى اليها

كان من جراء ذلك أن رغب أكثر الناس فى سكنى الأزبكية فأنشأوا بها القصور الفخمة وظلت تتزايد فى العمارة الى سنة ٩٠١ هجرية ومن ثم صارت مدينة على حدة وعرفت بالأزبكية نسبة الى مجددها أزبك

ظلت الأزبكية على بهجتها حتى زمن الحملة الفرنسية على مصر إذ أنه لما حضر الرحالة الشيخ الجليل عبد الغنى النابلسى الى مصر سنة ١١٠٩ هجرية . وجد البركة قائمة ووصف بعض دورها التى نزل بها

وفى أيام الجبرتى المؤرخ عرفت المنطقة الموجود بها المسجد بالعتبة الزرقاء وكانت بالقرب منها طائفة كبيرة من بيوت الأمراء غاية فى البهاء مما يدل على اعتبارها من متنزهات القاهرة

من هذه الدور بيت (الخواجا) [2] الحاج قاسم بن محمد الشرابى المتوفى سنة ١١٤٧ هجرية وقد وصفه الجبرتى بأنه كان منزلا كبيرا وبه مكتبة عظيمة وكان المنزل تجاه جامع أزبك ثم آل هذا المنزل الى الأمير رضوان كتخدا الجلفى المتوفى سنة ١١٦٨ هجرية ، فأنشأ هناك عدة قصور وأماكن بالغ فى زخرفها وخصوصا داره التى أنشأها على بركة الأزبكية وأصلها بيت الشرابى وهى التى كان على بابها العمودان الملتفان المعروفان عند العامة « بثلاثة ولبه » وعقد على مجالسها العالية قبابا عجيبة منقوشة بالذهب والألوان

انتقلت ملكية هذا البيت بعدئذ إلى الأمير احمد باشا طاهر [3] ناظر الجارك فهدمها

---

(١) الموسكى نسبة الى الامير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو صاحب القنطرة التى كانت على الخليج الكبير وعرفت بقنطرة الموسكى التى تجاور الآن محل (بلانتى) وتوفى بدمشق سنة ٥٨٤ هجرية

(٢) الخواجا لقب لتجار معروفى ذاك العصر

(٣) توفى احمد باشا طاهر سنة ١٢١٨ هجرية ودفن فى مدفنه الذى أعده لنفسه خلف المشهد الزينبى وهو قبة جميلة بأبهة الى الآن

وشيدها واستمرت بعد وفاته إلى أن اشتراها المرحوم عباس باشا وهدمها ووسعها وبناها بناءاً فخما لوالدته وبقيت كذلك إلى زمن الخديوى اسماعيل باشا . وعند تنظيم الأزبكية أخذ منها قسم وبقى منها القصر الموجودة به المحكمة المختلطة الآن ، والى طاهر باشا ينسب شارع طاهر الذى يبتدىء من فرقة المطافىء الى ميدان الأوبرا

ومن الدور الكبيرة التى كانت على بركة الازبكية بدرب عبد الحق ، الدار التى أنشأها الأمير على بك الكبير، وكان يجاورها الدار التى جددها السيد خليل البكرى . وكلاهما هدم عند تنظيم الازبكية ومحلهما تقريباً عند ميدان الاوبرا حيث توجد حارة عبد الحق فى نهاية شارع طاهر

وكان للأمير الكبير محمد بك الألفى داران بالازبكية هدمهما سنة ١٢١٢ هجرية وأضاف اليهما منازل أخرى منها القصر الذى كان مملوكا للسيد ابراهيم بن السيد سعودى ويقول عنه الجبرتى إن هذا القصر كان متنزهاً عاما . فاشتراه محمد بك الألفى وأضافه الى داريه وأنشأ قصراً كبيراً وهو الذى وضع تصميمه بنفسه لأنه كان مولعا بالهندسة . ويصفه لنا الجبرتى وصفاً خلاباً . فمن النافورات التى كانت به ، نافورة رخام كبيرة فيها صور أسماك يتدفق من أفواهها الماء وانتهت عمارته فى شعبان سنة ١٢١٢ هجرية وكان منقوشاً على باب القاعة مانصه :

شموس الهنا قد أضاءت بقاعة ... عاسنها للعين تزداد بالألف
على بابها قال السرور مؤرخاً ... سماء سعادتى تجدد بالألفى
(سنة ١٢١٢)

ومن غريب الاتفاق أنه لم يمكن بها سوى عشرين يوماً ثم سافر الى الشرقية فأقام هناك ودخل الفرنسيون مصر فأقام بهذا المنزل نابليون بونابرت ومن بعده

ولما تولى محمد على باشا حكم مصر رغب فى الاقامة فى هذا القصر وأجرى به عمارة كبيرة وأقام به مدة ثم أعطاه لكريمته الأميرة زينب هانم فعرف باسمها

وكان يجاور هذا القصر مدرسة الألسن التى أنشأها المغفور له محمد على باشا . وموضعها الآن فندق شبرد والى الالفى بك صاحب هذا القصر ينسب شارع الالفى المعروف

الحملة الفرنسية بمصر ١٢١٣ ـ ١٢١٦ هجرية :

وفى أيام الاحتلال الفرنسى صدر أمر فى سنة ١٢١٣ بمنع الدفن فى جبانة الازبكية وكان محلها تقريباً حيث سوق الخضار الآن بأول شارع محمد على

وفى سنة ١٢١٥ ردمت بركة الازبكية وخربت دورها . وتغيرت أوضاعها وهدمت قنطرة الموسكى وما جاورها الى البوابة المعروفة بالمتبة الزرقاء حيث الجامع الازبكى

وفى عصر المغفور له اسماعيل باشا (١٢٧٩ — ١٢٩٧ هجرية) أقيم تمثال المغفور له ابراهيم باشا وفتح شارع محمد على باشا . وأنشئت الاوبرا سنة ١٨٦٩

وفى سنة ١٢٨٦ هدم مسجد أزبك وقد اهتم بتصويره المرحوم محران باشا

ولدينا أيضاً من آثار الجامع أجزاء كبيرة من الكسوة النحاس التى كانت تغطى الابواب محفوظة الآن بدار الآثار العربية وعليها كتابات هذا نصها :

« هذا ما أوقف مولانا الملك الأشرف العالى السيف أزبك أتابك العساكر المنصورة الملكى الاشرفى عز نصره »

أزبك — هو الاتابك أزبك بن ططخ الاشرفى جلبه الخواجا ططخ من بلاد الجركس فاشتراه الاشرف برسباى فى سنة ٨٤١ هـ وكان مراهقاً ثم انتقل الى ولده العزيز ثم اشتراه الظاهر جقمق وأعتقه ورقاه وعينه ساقياً ثم أمير عشرة فى سنة ٨٥٢ هجرية . وصاهره مرتين فى ابنتيه وتنقل فى جملة وظائف وقامى شدائد ومحناً ونفى وسجن غير مرة .

وفى دولة الظاهر بلباى عين نائباً بالشام ثم عاد الى مصر وتولى وظيفته (أتابك) فى دولة الأشرف قايتباى سنة ٨٧٣ هجرية وكان على جانب عظيم من الذكاء شهما على الهمة وخرج فى جملة حروب كان النصر حليفا له فيها وانفق عليها كثيرا من ماله

ظل يشغل هذه الوظيفة الى أن عزل عنها فى ذى الحجة سنة ٩٠٠ هجرية ونفى الى مكة ثم أعيد الى وظيفته أتابك فى ربيع الأول سنة ٩٠٣ هجرية ونفى بها الى أن توفى سنة ٩٠٤ هجرية

ويصفه السخاوى وهو أحد معاصريه بأنه « من محاسن الامراء متواضعا متعبدا وكان للملكة به جمال »

ومن مآثره أيضاً تجديد عمارة المدرسة المنصورية (قلاوون) وقد أنشأ على الساقورة التى بها قبة وجدد منبراً وذلك فى سنة ٨٩٩ هجرية

ومما أخذ عليه انه كان شديد البطش قاسيا اذا سجن أحداً لا يطلقه ابداً

حسن عبد الوهاب